حديث القرآن عن الترف والمترفين
(دراسة موضوعية)

أحمد سالم محمد باطاهر *

تاريخ تسلُّم البحث : 2018/7/25م تاريخ قبول النشر : 2019/2/10م

الملخص

رمت هذه الدراسة إلى بيان حديث القرآن الكريم عن الترف والمترفين؛ لما للترف من عواقب وخيمة يتضرر بها الفرد والمجتمع بشكل عام، وقد اشتملت الدراسة على: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهج البحث، وخطة البحث.

المبحث الأول: تحدثت فيه عن مفهوم الترف والمترفين في القرآن الكريم، بينت مفهومه في اللغة، ومعانيه في القرآن الكريم ، ومفهومه في اصطلاح القرآن الكريم ، والعلاقة بين الترف والمصطلحات الأخرى.

المبحث الثاني: تحدثت فيه عن صفات المترفين التي جاء القرآن ببيانها، وهي: الشرك بالله، والظلم والإجرام ، وطول الأمل ، والجبن والجزع وعدم الثبات في المحن ، والتكبر والتباهي.

المبحث الثالث: تحدثت فيه عن موقف المترفين من دعوة الرسل، وتلخص موقفهم: بالكفر بالرسل ، والاعتراض على بشرية الرسول ، والتكذيب بلقاء الآخرة ، وإنكار البعث والنشور، واتباع الآباء والأجداد.

المبحث الرابع: تحدثت فيه عن عواقب الترف التي وردت في القرآن الكريم ، وهي: نشر الفسوق والفواحش، وسبب هلاك الأمم والمجتمعات، والغفلة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره واستن بسنته إلى يوم الدين. أما بعد:

إنَّ زينة الحياة الدنيا وشهواتها أخذت بألباب وعقول أفراد من الأمة، فاتبعوها من غير تفكير في عاقبة هذا الأمر، حتى أصبحوا يرون في تعاليم الإسلام وأحكامه ما يفسد عليهم متعتهم بها، فولَّد ذلك عندهم عداوة لتعاليم الإسلام والداعين إليه، فوقفوا في وجه كل دعوة جادة إلى الإسلام تريد إعادة الأمر إلى نصابه، وتقوم ببيان خطر الاغترار بالدنيا، والسعي خلف شهواتها وملذاتها.

والترف من الصفات الذميمة التي جاء الإسلام بمحاربتها، والمُترَفون في القرآن أعداءُ كل رسالة، وخصوم كل إصلاح وتقدُّم، وكانوا دائمًا على رأس كل معارضة للنبوة، فهم مصدر فسادٍ عريض، ومثار فِتَن متجدِّدة.

وقد وقع نظري على هذا الموضوع لعمل بحث فيه لمعرفة منهج القرآن في موضوع الترف والمترفين، وكيف عالجه، وسميته (حديث القرآن الكريم عن الترف والمترفين دراسة موضوعية).

أهمية الموضوع:

تتلخص أهمية الموضوع في النقاط الآتية:

1- كونه يلامس شيئاً في حياة الناس اليوم، فهناك

* باحث

بعض الناس اليوم يعيشون عيشة هؤلاء المترفين.

2- أنَّ الترف عواقبه وخيمة على صاحبه في الدنيا والآخرة.

أسباب اختيار الموضوع:

1- العلاقة الوطيدة بين انهيار الأمم والمجتمعات وبين الترف.

2- طغيان المادية في حياة الناس اليوم، مما يقرب وضعهم بحياة المترفين الواردة صفاتهم في القرآن، فكان من أسباب اختيار الموضوع توضيح وإبراز هذه الصفات لاجتنابها.

3- كونه يكشف عن صفات المترفين المذمومة في القرآن الكريم.

أهداف الموضوع:

1- تحرير مفهوم الترف في اللغة وفي اصطلاح القرآن الكريم.

2- إبراز صفات المترفين، لتحذير الأمة منهم.

3- بيان موقف المترفين من الرسل والرسالات السماوية.

4- عرض عواقب الترف على الأمة وعلى المترفين.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث لم أجد من تطرق لموضوع الترف والمترفين في القرآن الكريم دراسة موضوعية، وهناك بعض الرسائل العلمية تحدثت عن الترف من نواح أخرى، منها:

1- نظرة القرآن الكريم إلى الترف والمترفين: رسالة ماجستير للباحثة: مريم محمود حسن صالح، من جامعة أم القرى بكلية الدعوة وأصول الدين، إشراف الدكتور: مسعد عبد المعطي النبراوي، عام: 1406هـ - 1407هـ، 1986م - 1987م، قسمت الباحثة الموضوع إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: تحدثت فيه عن: معنى الترف، واحتراف الإسلام للملكية، والوجوه الممنوعة في إنفاق المال.

الباب الثاني: تحدثت فيه عن موقف المترفين من العقيدة.

الباب الثالث: في أخلاق المترفين وعاقبة ترفهم، تحدثت فيه عن: الإسراف، والكبر واحتقار المستضعفين، وخطر الترف على الأمم قديمًا وحديثًا، وعن سنة الله في عقاب المترفين قديمًا وحديثًا.

2- الترف في القرآن الكريم وأثره في الفكر والسلوك، رسالة ماجستير للباحث: محمد عادل مصطفى، من جامعة صدام بالعراق، عام: 1997م، ولم يطلع الباحث عليها.

منهج البحث:

انتهجت في هذا البحث المنهج (الاستقرائي الوصفي)، وذلك من خلال:

1- جمع الآيات القرآنية التي تحدثت عن موضوع الترف والمترفين.

2- تقسيم هذه الآيات إلى مباحث تخدم هذا الموضوع.

ما انتهجته في عموم البحث:

1- كتابة الآيات القرآنيَّة بالرسم العثماني مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

2- تخريج الأحاديث، والآثار، على النحو الآتي:

أ- ذكر من خرَّج الحديث، أو الأثر، أو الرواية، والإحالة إلى المصدر بذكر الكتاب والباب، ورقم الرواية، والجزء والصفحة.

ب- إذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما، أكتفي بتخريجه منهما.

ج- إذا لم يكن في أيٍّ منهما؛ فإنِّي أخرجه من مصادره مع ذكر أقوال أئمة الحديث فيه من حيث الصحة والضعف – إن وجد –.

3- توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء، بالإحالة إلى

مواضعها من كتبهم بذكر الجزء والصفحة.

4- لم أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في البحث.

5- المعوَّل عليه في معرفة طبعات المصادر والمراجع هو الفهرس الخاص بذلك في آخر الرسالة؛ لصعوبة ذكر الطبعة دائماً عند أول ذكر لها.

6- قمت بضبط الكلمات بالشكل، بحسب الإمكان وما تقتضيه الحاجة العلميَّة؛ لأمن اللبس الذي يؤثر في المعنى.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهج البحث، وخطة البحث.

المبحث الأول: مفهوم الترف والمترفين في القرآن الكريم، وفيه:

المطلب الأول: مفهوم الترف في اللغة.

المطلب الثاني: معاني الترف في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: مفهوم الترف في اصطلاح القرآن الكريم.

المطلب الرابع: العلاقة بين الترف والمصطلحات الأخرى.

المبحث الثاني: صفات المترفين، وفيه:

المطلب الأول: الشرك بالله.

المطلب الثاني: الظلم والإجرام.

المطلب الثالث: طول الأمل.

المطلب الرابع: الجبن والجزع وعدم الثبات في المحن.

المطلب الخامس: التكبر والتباهي.

المبحث الثالث: موقف المترفين من دعوة الرسل، وفيه:

المطلب الأول: الكفر بالرسل.

المطلب الثاني: الاعتراض على بشرية الرسول.

المطلب الثالث: التكذيب بلقاء الآخرة، وإنكار البعث والنشور.

المطلب الرابع: إتباع الآباء والأجداد.

المبحث الرابع: عواقب الترف، وفيه:

المطلب الأول: نشر الفسوق والفواحش.

المطلب الثاني: سبب هلاك الأمم والمجتمعات.

المطلب الثالث: الغفلة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

الفهارس: وفيه فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم الترف والمترفين في القرآن الكريم:

المطلب الأول: مفهوم الترف في اللغة:

الترف لغة:

التاء والراء والفاء كلمة واحدة، وهي التُّرفة. يقال رجلٌ مترف: منعمٌ؛ لأنه مطلق له لا يمنع من تنعم، وترفه أهله إذا نعموه بالطعام الطيب والشيء يخص به[1].

والترفة النِّعمة، وصبي مترف إذا كان منعم البدن مدللًا[2].

وأترفه: دَلَّلَه وملكه. وقوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، أي أولو الترفة وأراد رؤساءها وقادة الشر منها[3].

والمترف هو: الذي أبطرته النعمة، وسعة العيش[4].

وقيل: المترف المتروك يصنع ما يشاء لا يُمنع منه[5].

وقيل: المترف المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها[6].

وقيل: المترف: الموسع عليه عيشه، القليل فيه همة[7].

وأترف الرجل: أعطاه شهوته. وترف النبات: تروى[8].

واستترف القوم: طغوا[9]، وأترفته النعمة، أي أطغته[10].

والتتريف: حسن الغذاء[11].

فالناظر في معاني الترف -السابقة الذكر- يجد أنها

كلها تدور حول معنى متقارب وهو: الاتساع في التنعُّم بنعيم الدنيا وسعة العيش مع البطر والطغيان فيها[12].

المطلب الثاني: معاني الترف في القرآن الكريم:

بعد البحث في كتب الوجوه والنظائر، وكتب المفردات، وكتب التفسير وعلوم القرآن، نجد أنَّ المراد بالترف في القرآن الكريم بجميع مشتقاته يدور حول معنى واحد وهو: التنعم والاتساع في العيش بنعم الدنيا وشهواتها حتى الوصول إلى الطغيان والبطر، على اختلاف في المعنى من اسم الفاعل والمفعول والمفعول منه[13].

فالمترفون هم المتنعمون الذين أبطرتهم النعمة وسعة العيش، المنهمكون في الشهوات المستمتعون بها المتمكنون فيها لترامي طباعهم إليها[14].

قال الماوردي –رحمه الله تعالى: ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ فيهم ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني جبابرتها[15]، الثاني: أغنياؤها، الثالث: ذوو النعم والبطر))[16].

وقال الثعالبي –رحمه الله تعالى : ((المترف: المنعم الذي شغلته ترفته عن الحق حتى هلك))[17].

وقد وردت مادة (ترَف) في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، في سبعة مشتقات[18]، هي:

1- **أترفناهم:** وردت مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: 33].

2- **أترفتم:** وردت مرة واحدة، في قوله تعالى : ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:13].

3- **أترفوا:** وردت مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 116].

4- **مترفوها:** وردت مرتين، في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: 34]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23].

5- **مترفين:** وردت مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة: 45].

6- **مترفيها:** وردت مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16].

7- **مترفيهم:** وردت مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ [المؤمنون: 64].

والناظر لهذه المواضع كلها يجدها كلها جاءت في موضع الذم للترف والتحذير منه ومن أهله، وبيان سماتهم، وجزائهم.

المطلب الثالث: مفهوم الترف في اصطلاح القرآن الكريم:

الترف اصطلاحًا:

من خلال ما سبق من مفهوم الترف في اللغة، ومعانيه في القرآن، يمكن لنا أن نعرف الترف في اصطلاح القرآن الكريم، فنقول:

هو: مجاوزة حدِّ الاعتدال بالتنعم وسعة العيش، والتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها توسعًا يلهي عن طاعة الله تعالى، ونسيان إدراك الغاية من وجوده في هذه الدنيا[19].

والمراد بالمترفين هم: الذين أبطرتهم النعمة وسعة العيش، وتوسعوا في التنعم بشهوات الدنيا وملذاتها،

الحريصون على الزيادة في أحوالهم وعوائدهم، حتى وصلوا إلى حد الطغيان وعدم شكر النعم، ونسيان الغاية التي خلقوا من أجلها[20].

المطلب الرابع: العلاقة بين الترف والمصطلحات الأخرى:

يوجد في اللغة العربية بعض المصطلحات القريبة من مصطلح (الترف)، فحري بنا أن نتعرف عليها، بذكر تعريفها والعلاقة بينها وبين الترف، وهي كالآتي:

أولًا: الإسراف:

الإسراف في اللغة: السين والراء والفاء أصل واحد يدل على تعدي الحد والإغفال للشيء، تقول: في الأمر سَرَف، أي مجاوزة القدر، وهو مصدر من أسرف إسرافًا، والسَّرَف اسم منه، وهو مجاوزة القصد. وأسرف في ماله: عجل من غير قصد[21].

اصطلاحًا هو: هو تجاوز الحدّ في كلّ فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أَشْهَر. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال أيضًا: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ [النساء: ٦]، أي المتجاوزين الحدّ في أمورهم[22].

قال الجرجاني – رحمه الله تعالى: ((الإسراف: هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس، وقيل: تجاوز الحد في النفقة، وقيل: أن يأكل الرجل ما لا يحل له، أو يأكل مما يحل له فوق الاعتدال، ومقدار الحاجة. وقيل: الإسراف تجاوز في الكمية، فهو جهل بمقادير الحقوق))[23].

وقيل: الإسراف: هو صرف الشيء فيما لا ينبغي زائدًا على ما ينبغي[24].

العلاقة بين الترف والإسراف:

العلاقة بين الترف والإسراف علاقة وثيقة لصيقة، فالإسراف يعد أول خطوة، أو أول الطريق للترف، فإذا رأيت شخصًا بدأ يعتاد السرف في نفقته فاعلم أنه قد بدأ يشق طريقه نحو الترف؛ ولذلك ورد النهي عن السرف صريحًا في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وأبرزها عند الطعام والشراب فقال تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] ، كما ورد النهي عن إتباع المسرفين وطاعتهم؛ لأنهم بإسرافهم يعيثون في الأرض فسادًا، ولا يتأتى منهم إصلاح، فيجرّون من يتبعهم إلى هذا الداء، الذي إذا استشرى فيهم يتحولون إلى مفسدين في الأرض فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ [الشعراء: ١٥٠ – ١٥٢][25].

الفرق بين الإسراف والترف:

يمكن لنا أن نفرق بين الإسراف والترف في النقطتين الآتيتين:

الأول: أنَّ الإسراف عام في كل شي، في النعمة وغيرها كالقتل، قال تعالى: ﴿فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾ [الإسراء: ٣٣]، أما الترف هو مرتبط بالنعمة فقط.

الثاني: الإسراف قد يكون معه بطر وكفر بالنعمة وقد لا يكون، أما الترف فيكون معه بطر وكفر بالنعمة.

ثانيًا: البطر:

البطر في اللغة[26]: الباء والطاء والراء أصل واحد وهو الشَّق. وسمي البيطار[27] لذلك، ويحمل عليها البَطَر، وهو تجاوز الحد في المرح.

والبطر أيضًا: الطّغيان عند النّعمة وطول الغنى، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطرًا))[28].

وبطر الحقّ: التّكبّر عنه والتّجبّر عنده ورؤيته باطلًا، وفي الحديث: ((الكبر بطر الحقّ))[29].

وقيل البطر: قلة احتمال النعمة، وقيل: الدهش والحيرة. وأبطره أي أدهشه.

البطر اصطلاحًا هو: الطغيان في النعمة وترك شكرها[30].

قال الراغب – رحمه الله تعالى: ((البطر: دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلّة القيام بحقّها، وصرفها إلى غير وجهها))[31].

العلاقة بين الترف والبطر:

كما مرَّ من تعريف الترف والبطر يتضح أنَّ الترف سبب من أسباب البطر، فالإنسان إذا كان مترفاً منعماً في حياته قد يصل به الحال إلى البطر – والعياذ بالله – وهو الطغيان وتجاوز الحد.

كذلك المترف يكون متمحورًا حول نفسه، همه هم نفسه ينعمها ويدللها ويجري حول شهواتها، أما المبطر يفتخر على الناس ويترفع عنهم، وينسب ما فيه من النعم إلى نفسه.

فالعلاقة بين الترف والبطر علاقة تلازمية سببية، فالبطر لازم والترف ملزوم وهو سبب من أسباب البطر.

ثالثًا: التبذير:

التبذير لغة[32]: مصدر قولهم: بذّر يبذّر تبذيرًا، فالباء والذال والراء أصل واحد، وهو نثر الشيء وتفريقه.

يقال: بذرتُ البَذرَ أَبذُرُهُ بَذرًا، وبذرت المال أُبذِّرُه تبذيرًا، فاستعير لكلّ مضيِّعٍ لماله.

وبذر ماله: أفسده وأنفقه في السرف. وكل ما فرقته وأفسدته، فقد بذرته.

والبذر هو: الذي يفشي السِّرَّ ويُظهِرُ ما يسمعه، يقال: بذرتُ الكلام بين الناس كما تبذر الحبوب: أي أفشيته وفرقته.

والتبذير: إفساد المال وإنفاقه في السرف، قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

التبذير اصطلاحاً:

قال الشافعي – رحمه الله تعالى : التبذير: إنفاق المال في غير حقه[33].

وقيل هو: تضييع في الظاهر لمن لم يعرف مآل ما يلقيه[34].

وقيل هو: صرف الشيء فيما لا ينبغي[35].

والعلاقة بين الترف والتبذير هي نفس العلاقة التي بين الترف والإسراف فلا داعي لإعادتها مرة أخرى.

المبحث الثاني: صفات المترفين:

المطلب الأول: الشرك بالله تعالى:

الشرك بالله تعالى من أقبح الذنوب التي يتصف بها الإنسان، فما وصف أحد بأسوأ من وصف الشرك، وهو أن تجعل لله ندًا وهو خالقك.

والمترف وهو التنعم برغد العيش حتى يصل بالإنسان إلى البطر وكفران النعمة فيشغلهم ذلك عن التعبد لله تعالى وصرف العبادة له وحده[36]، فالخلود إلى التنعم والبطر بالنعمة يؤدي إلى النكران وجحود هذه النعمة مما يصل بالإنسان إلى الكفر بالله تعالى.

وقد وصف الله تعالى في القرآن الكريم المترفين بصفة الشرك به، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٤١ – ٤٦]، و ﴿الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ كما قال أغلب المفسرين هو: الشرك بالله[37].

فالآيات السابقة فيها ذم الترف والتنعم في الدنيا، والترف طريق إلى البطالة وترك التفكر في العاقبة، فهم منهمكون في اللذات والشهوات، منغمسون في الأمور الطبيعية، والغواشي البدنية، فبذلك اكتسبوا هذه الأمور الموبقة، والتبعات المهلكة، فأدى ذلك بهم إلى الأقاويل الباطلة والعقائد الفاسدة، التي استحقوا بها العذاب المخلد، والعقاب المؤبد[38]، وصدور المعاصي ممن كثرت النعم عليه أقبح القبائح وأعلاها[39].

وقوله تعالى في الآية: ﴿الْعَظِيمِ﴾ يدل على أن المراد الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:

١٣]؛ لأنَّ الأمور التي ذكرت قبله وبعده لا تجتمع في غيره[40].

وقوله تعالى: ﴿يُصِرُّونَ﴾ أي ثابتون عليه لا يقبلون زحزحة عنه ولا يضعون للدعوة إلى النظر في بطلان عقيدة الشرك[41]، ويدل -أيضًا- على أن هذه عادة تعودوها، ووصف ملاصق بهم يدافعون ويصممون عليه، وهو الشرك بالله، ولا ينوونه منه توبة، قال ابن كثير - رحمه الله تعالى: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾ أي: يصممون ولا ينوون توبة ﴿عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ وهو الكفر بالله، وجعل الأوثان والأنداد أربابًا من دون الله))[42]، وصيغة المضارع في ﴿يُصِرُّونَ﴾ تفيد تكرر الإصرار والقول منهم. وذكر فعل كانوا لإفادة أن ذلك ديدنهم[43].

قال الرازي -رحمه الله تعالى: ((وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ فيه مبالغات من وجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾ وهو آكد من قول القائل: إنهم قبل ذلك أصروا؛ لأن اجتماع لفظي الماضي والمستقبل يدل على الاستمرار، لأن قولنا: فلان كان يحسن إلى الناس، يفيد كون ذلك عادة له.

ثانيها: لفظ الإصرار فإن الإصرار مداومة المعصية والغلول، ولا يقال: في الخير أصر.

ثالثها: الحنث، فإنه فوق الذنب فإن الحنث لا يكاد في اللغة يقع على الصغيرة والذنب يقع عليها))[44].

المطلب الثاني: الظلم والإجرام:

ذم القرآن الكريم الترف والمترفين ووصفهم بالصفات والأخلاق الذميمة، فالمترف الغارق في النعيم الناسي شكر الله تعالى عليه بما أعطاه ورزقه من النعم الكثيرة، يقوده عمله هذا إلى أعمال شنيعة منها: الظلم بجميع أنواعه سواء كان الظلم لنفسه أو لغيره، والإجرام، وهاتان صفتان غاية في القبح.

وقد وصف الله تعالى المترفين بهاتين الصفتين، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦]، فسمى الله تعالى المترفين في هذه الآية ظالمين و مجرمين، وهما صفتان مذمومتان للترف.

قال البقاعي - رحمه الله تعالى: ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي متصفين - على سبيل الرسوخ- بالإجرام ، وهو قطع حبل الله على الدوام ، فأهلكهم ربك لإجرامهم ، ولولا ذلك لما فعل ، فإن إهلاكهم على تقدير الانفكاك عن الإجرام يكون ظلماً على ما يتعارفون))[45].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله تعالى-: ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي: متلبسين بالإجرام الذي ولَّده الترف راسخين فيه، فكان هو المسخر لعقولهم في ترجيح ما أعطوا من ذلك على اتباع الرسل))[46].

وقال الشيخ أبو زهرة - رحمه الله تعالى: ((ولقد وصفهم - سبحانه وتعالى - مسجِّلًا عليهم الإجرام، والآثام، فقال: ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي استمروا في ماضيهم متجمعين على الإجرام، حتى صار الإجرام وصفًا ملازمًا لهم))[47].

وقد حصر بعض المفسرين معنى الظلم بعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا لا شك إنه نوع من أنواع الظلم.

قال الزمخشري -رحمه الله تعالى-: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أراد بالذين ظلموا: تاركي النهي عن المنكرات، أي: لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعقدوا هممهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والتترف، من حب الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء. ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم))[48].

فالترف هو السبب والباعث لكثير من الصفات الذميمة والتي منها الظلم والإجرام، **قال الشيخ محمد رشيد رضا** – رحمه الله : ((فالإتراف هو الباعث على الإسراف والفسوق والعصيان، والظلم والإجرام يظهر في الكبراء والرؤساء، ويسري بالتقليد في الدهماء، فيكون سبب الهلاك باستئصال ، أو فقد الاستقلال))[49].

وقال المراغي – رحمه الله تعالى: ((وقد هدت التجارب إلى أن الترف هو الباعث على الفسوق والعصيان والظلم والإجرام، ويظهر ذلك بديئًا في الرؤساء والسادة، ومنهم ينتقل إلى الدهماء والعامة فيكون ذلك سببًا في الهلاك بالاستئصال، أو في فقد العزة والاستقلال))[50].

المطلب الثالث: طول الأمل:

لاشك أن الإغراق في الترف والتنعم والانشغال بمتاع الدنيا وشهواتها الزائلة ينتج عنه طول الأمل، ونسيان الموت وسكراته، والآخرة وأهوالها، فالمترف الذي يعيش في هذه الكيفية ينسى هذا الحقيقة فيظن بأن الدنيا ما وجدت إلا للمتاع الذي هو فيه، ويظن أيضًا أنه سوف يعيش آجالًا ويحقق آمالًا، ولا يصحوا ولا يتنبه إلا بعد أن يرى الموت أمامه حينها يندم، ولكن بعد فوات الأوان.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه حال هؤلاء المترفين الذين ألهتهم ملذاتهم عن الله تعالى وغرَّهم طول الأمل، قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء : ١١ – ١٣]، فهؤلاء المترفون كانوا منشغلين بلذات الدنيا وشهواتها، وأملهم طويل فيها، فلما أحسوا بعذاب الله تعالى، أخذوا يركضون فرارًا منه، والركض هو: تحريك الرجلين، والضرب بها في الأرض[51]، فقيل لهم لا يفيدكم الركوض والندم، ولكن إن كان لكم اقتدار، فارجعوا إلى ما أترفتم فيه، من اللذات، والمشتهيات، ومساكنكم المزخرفات، ودنياكم التي غرَّتكم وألهتكم، حتى جاءكم أمر الله. فكونوا فيها متمكنين، وللذاتها جانين، ولكن هيهات لهم ذلك، فقد فات الوقت، وحل بهم العقاب[52].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ تهكم وتوبيخ لهم وسخرية[53]، فطول أملهم واستغراقهم في الترف أذهلهم عن النظر في أنفسهم، وطلب النجاة قبل وقوع البلاء بهم[54].

المطلب الرابع: الجبن والجزع وعدم الثبات في المحن:

الجبن والجزع وعدم الثبات في المحن من الصفات الذميمة التي يتصف بها المترفون المنعمون؛ وذلك لأن المترف ليس عنده القدرة على تحمل المشقة والتجلد للشدائد والتأهب لمجيء الفتن وتقلب الأيام، وذلك نتيجة عجز الإنسان وعدم تهيئته لنفسه وترويضه إياها على تحمل ذلك لو نزل به، فهو متعود على الراحة والدعة وخدمة الناس له، فبمجرد حلول مصيبة عليه تجده خائفاً مذعوراً لا يعرف كيف يتصرف فيها، وكان الأولى به أن يكون في مثل هذه الحوادث ثابتًا، يفكر كيف يتغلب على ما حلَّ به، ولكنها التربية وحياة الدعة التي تربى وتعودها أثرت فيه وفي صفاته وتصرفاته.

والجبن من الصفات التي كان النبي صلى الله عله وسلم يستعيذ بها، قال صلى الله عليه وسلم: ((اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والهرم، والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات))[55].

وقد صور القرآن الكريم حال المترفين ووصفهم بالجبن والصراخ في وقت الشدائد، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤ – ٦٥]،

فالجؤار مثل الخوار. يقال: جأر الثور يجأر أي صاح[56]، و ﴿يَجْأَرُونَ﴾ يصرخون ويستغيثون، أي ضجوا واستغاثوا مما حل بهم من عذابنا[57]، وقيل ﴿يَجْأَرُونَ﴾ يجزعون[58] ، فهم جبناء جزعون ، لا يثبتون للمحنة والعذاب، وسرعان ما يتساقطون متمرغين مستغيثين. ((وقوله تعالى: ﴿ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ﴾ لا تضجوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم، فإن ضجيجكم غير نافعكم ، ولا دافع عنكم شيئًا مما قد نزل بكم من سخط الله))[59]. ووصف الله تعالى المترفين في هذه الآية بالجبن والجزع والخوف لما نزلت بهم المصائب، ولم يثبتوا في هذه المحنة بل صاحوا واستغاثوا، وقيل إنَّ المراد ﴿بِالْعَذَابِ﴾ في الآية: هو عذاب المشركين بالسيف يوم بدر، أو بالجوع بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم حيث قال: ((اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف))[60]، وقد وقع منهم ومن أهلهم وأولادهم عند ما عذبوا بالسيف يوم بدر، وبالجوع في سني الجوع[61]، فكان هذا حالهم، وكان الأولى منهم في وقت الشدة أن يتماسكوا، وأن يتجلّدوا حتى لا يشمت بهم العبيد والفقراء الذين آمنوا، ولكن هذه صفات المترفين الجبن وعدم الثبات في المحن[62].

قال البقاعي – رحمه الله تعالى: ((﴿يَجْأَرُونَ﴾ أي يصرخون ذلًّا وانكسارًا وجزعًا من غير مراعاة لنخوة))[63].

وقد صورهم الله تعالى في آية أخرى بقوله: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ١١ – ١٣] ، فهم خوافون جزعون جبناء، فلما حلَّت بهم المصائب ركضوا وجروا خوفًا مما حلَّ بهم، ولم يثبتوا في هذه الشدة.

المطلب الخامس: التكبر والتباهي:

الكبر والتباهي من أسوأ الصفات بشكل عام، وهي داء الأمم السابقة التي أهلكهم الله تعالى، ولا يكون الكبر في قلب بشر إلا أهلكه؛ لكونه يغوي الإنسان ويجعل الحق باطلًا، والباطل حقًا، ويرى نفسه فوق كل شيء. فالترف من شأنه أن يفسد الفطرة، ويبعث على الغرور والتطاول، ويحول بين الإنسان وبين التمسك بالفضائل والقيم العليا، ويهدى إلى الانغماس في الرذائل والشهوات ؛ فلذلك نجد المترفين المنغمسين في النعم والشهوات يحملهم التكبر والتباهي والتفاخر بزينة الحياة الدنيا على النفور من الإيمان بالله تعالى واتباع أوامره[64].

وقد كان الكبر والتباهي من صفات المترفين، فذمهم الله تعالى في كل آية ورد فيها ذكرهم، وحذرنا منهم، ووعدهم بالعذاب الأليم يوم القيامة.

يقول الله تعالى مخبرًا نبيه محمد صلى اله عليه وسلم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٤ – ٣٥]، المترف هو الذي يجمع أصناف المال مع العناد والتكبر[65].

وصف الله تعالى المترفين في الآية السابقة بالتكبر والتباهي على الأنبياء وأتباعهم المؤمنين بأنهم أكثر منهم في المال والأولاد، واستدلوا على حب الله لهم بهذا، وأن هذه النعم التي هم فيها دليل على حب الله لهم وفضلهم ومنزلتهم عنده، ولكن هيهات لهم هذا[66].

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أي: افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا، ثم يعذبهم في الآخرة، وهيهات لهم ذلك))[67].

يقول سيد قطب – رحمه الله تعالى: ((الترف يغلظ

القلوب، ويفقدها الحساسية ويفسد الفطرة ويغشيها فلا ترى دلائل الهداية فتستكبر على الهدى وتصر على الباطل، ولا تتفتح للنور. والمترفون تخدعهم القيم الزائفة والنعيم الزائل، ويغرهم ما هم فيه من ثراء وقوة، فيحسبونه مانعهم من عذاب الله، ويخالون أنه آية الرضا عنهم، أو أنهم في مكان أعلى من الحساب والجزاء))[68].

وقد بيَّن الله تعالى في آية أخرى أنَّ الكبر من صفات المترفين وأنه سبب هلاكهم، فقال: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ * قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤ – ٦٧]، فبين سبحانه وتعالى أنَّ سبب عذاب وهلاك المترفين التكبر وعدم قبول الحق، فلما كانوا جامعين لهذه الرذائل، والتي من بينها التكبر وعدم قبول الحق والاستهزاء بآيات الله، حقت عليهم العقوبة، ولما وقعوا فيها لم يكن لهم ناصر ينصرهم ولا مغيث ينقذهم، ويوبخون عند ذلك بهذه الصفات والأعمال الساقطة[69].

المبحث الثالث : موقف المترفين من دعوة الرسل :

تمهيد:

من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده، أن بعث إليهم الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين، فما من أمة إلا بعث الله فيها نذيرًا ليخرجهم من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهدى.

وكان اغلب الأنبياء والرسل قد اصطفاهم الله تعالى من غير أصحاب الملك، والجاه، والسلطان، مما جعل مترفي كل أمة يستنكرون أن يكون الأنبياء ممن دونهم في المال والبنين والجاه والسلطان، لذا كانوا يحملون لواء المعارضة والصدِّ لدعوات الرسل؛ لأنها لا تتناسب ولا تتوافق مع أهوائهم من جهة، ولم تكن في أحد منهم من جهة أخرى[70].

ولقد استعرض القرآن الكريم في قصص الأنبياء موقف الملأ من القوم وهو السادة والكبراء المترفون من أنبيائهم على مر العصور، فما من نبي إلا لاقى منهم الطعون والاستهزاء والتعذيب والتكذيب، وكل هذه القصص تسلية لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وتثبيتًا له على دعوته، وعبرة لقومه مما حصل للمترفين نتيجة تعنتهم مع الرسل[71]، وسوف نتحدث – بإذن الله تعالى– في هذا المبحث في موقف هؤلاء المترفين من الأنبياء ودعوتهم.

المطلب الأول: الكفر بالرسل:

موقف المترفين من رسل الله – عليهم الصلاة والسلام– التكذيب والعداوة والمعارضة للرسل دومًا، فالتكذيب طبيعة المترفين وديدنهم لِما شُغِلُوا به من زخرف الدنيا وبهجتها، وما غلب على قلوبهم منها، فهم منهمكون في الشهوات، ولأن الأديان جميعها جاءت تقرر حقوق الإنسان من حرية ومساواة وعدالة اجتماعية، وهذه كلها أمور ليست في مصلحتهم، كما أن الأنبياء جاءوا بمناهج من السماء، فيها أوامر ونواه، واتِّبَاع الأنبياء والإيمان بدعوتهم يتطلب فعل الأوامر واجتناب النواهي، وهذا يشق على المترفين أولي النعمة والثروة والرياسة وأصحاب الرفاهية، ولهذه الحقيقة كان على رأس المكذبين لدعوات المرسلين ومناهج السماء المترفون الغارقون في الملاهي والشهوات من الرؤساء والجبابرة[72].

يقول الله تعالى مصداقًا لهذا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤] ، فالآية الكريمة تحكي موقف المترفين في كل أمة، من الرسل الذين جاءوا لهدايتهم، وأن هؤلاء المترفين في كل زمان ومكان، كانوا أعداء للأنبياء وللمصلحين ومكذبين لما أرسلوا به، وفيها تسلية لقلب

النبي صلى الله عليه وسلم وبيان لما لاقى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به ، وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلاّ قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة، وتكذيب المترفين للأنبياء الأخيار ليس بدعًا، بل ذلك عادة جرت من قبل، وإنما نسب القول إلى المترفين مع أن غيرهم أيضًا قالوا: إنا بما أرسلتم به كافرون؛ لأن الأغنياء المترفين هم الأصل في ذلك القول[73].

فموقف المترفين من دعوة كل الرسل هو التكذيب والكفر بهم وبما جاءوا به من عند الله تعالى، وما يتبع الرسل ويؤمن بهم إلا الضعفاء، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين هذا المعنى.

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى : ((يقول تعالى مسليًا لنبيه، وآمرًا له بالتأسي بمن قبله من الرسل، ومخبره بأنه ما بعث نبيًا في قرية إلا كذبه مترفوها، واتبعه ضعفاؤهم، كما قال قوم نوح: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، ﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ﴾ الرَّأْيِ [هود: ٢٧]، وقال الكبراء من قوم صالح: ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥ – ٧٦] وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] ؟ وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣] وقال: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ [الإسراء: ١٦]. وقال هاهنا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾ أي: نبي أو رسول، ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة. قال قتادة: هم جبابرتهم وقادتهم ورؤوسهم في الشر. ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أي: لا نؤمن به ولا نتبعه))[74].

فالآيات السابقة فيها تقرير رباني عن عادة الزعماء ذوي النعمة والترف في الأمم السابقة –وأنه كائن مستمر فيهم– من الوقوف موقف الجحود والعناد من رسل الله، وحكاية لما يقولونه: إنا مكذبون بما أرسلتم به من توحيد الله والإيمان به، ونبذ تعدد الآلهة، فلا نؤمن بكم ولا نتبعكم[75].

المطلب الثاني: الاعتراض على بشرية الرسل:

سلك المترفون وسائل وطرقاً كثيرة جدًا لصدِّ الناس عن الهدى وعن الإيمان بالله وحده، ونبذ ما سواه من الآلهة؛ وذلك كونهم يخافون من أن تسلب منهم مكانتهم ورئاستهم فهم يرون أنفسهم الأعلى والأفضل من بين سائر البشر وما البقية إلا خدم لهم وتابعون، والإيمان بالرسل يلغي هذه الفوارق كلها ويدعونهم إلى عبادة رب واحد، ومن وسائلهم لصدِّ الناس عن اتباع الرسل الاعتراض على بشرية الرسل وأنهم بشر مثلنا لا فرق بيننا وبينهم، وغرضهم من هذا صد الناس عن الإيمان بالرسل وتوحيد الله تعالى وذلك في ظنهم يحفظ لهم مكانتهم.

يقول الله تعالى في كتابه عن قوم هود –عليه السلام–: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣ – ٣٤].

فقد قال المترفون لنبيهم بجفاء وسوء أدب لكي يصرفوا غيرهم عن الإيمان به: ما هذا الذي يدعى النبوة ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ وكأنهم يرون– لغبائهم وانطماس عقولهم – أن الرسول لا يكون من البشر، أو يرون جواز كونه من البشر، إلا أنهم قالوا ذلك على سبيل المكر ليصدوا أتباعهم وعامة الناس عن دعوته، فهم يقيسون الأمور

بالمحسوس، فأقيستهم مادية صرفة، ولا يؤمنون بمعنى من المعاني العالية، ثم أضافوا إلى هذا القول الباطل ما يؤكده في نفوس الناس فقالوا: ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ﴾ من طعام، وغذاء ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ من ماء، فلا فضل له عليكم؛ لأنه محتاج إلى الطعام والشراب كمثلكم، ومتشابهين معه في الصفات والأحوال[76].

يقول البقاعي –رحمه الله تعالى–: ﴿مَا هَذَا﴾ أشاروا إليه تحقيرًا له عند المخاطبين ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أي في الخلق والحال؛ ثم وصفوه بما يوهم المساواة في كل وصف فقالوا: ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ من طعام الدنيا ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ أي منه من شرابها فكيف يكون رسولًا دونكم!))[77].

ثم كرر المترفون الاعتراض على بشرية الرسول مرة أخرى لزيادة التأكيد لأتباعهم على عدم الإيمان بالرسل، فقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ ((أي: إن تبعتموه وجعلتموه لكم رئيسًا، وهو مثلكم إنكم لمسلوبو العقل، نادمون على ما فعلتم. وهذا من العجب، فإن الخسارة والندامة حقيقة لمن لم يتابعه ولم ينقد له. والجهل والسفه العظيم لمن تكبر عن الانقياد لبشر، خصه الله بوحيه، وفضله برسالته، وابتلي بعبادة الشجر والحجر))[78]، وهذا الاعتراض المكرر ناشئ من انقطاع الصلة بين قلوب هؤلاء الكبراء المترفين وبين الهداية والتوفيق الرباني[79].

والناظر لحال هؤلاء المترفين يتعجب من ضلالهم، فهم استبعدوا رسالة البشر واعتقدوا إلهية الحجر. وقولهم ما سمعنا بهذا، الظاهر أنهم كانوا مباهتين، وإلا فنبوة إدريس وآدم لم تكن المدة بينها وبينهم طويلة بحيث تنسى ولكن الله أعمى بصائرهم[80].

فالاعتراض على بشرية الرسل هو شأن وديدن جميع الكفرة والملحدين، حتى النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يسلم من هذا، فقد قال له كفار قريش: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

المطلب الثالث: التكذيب بلقاء الآخرة وإنكار البعث والنشور:

من الأساليب التي سلكها المترفون لصدِّ الناس عن الإيمان بالله تعالى التكذيب بالآخرة، وإنكار البعث والنشور وأنه لا حياة بعد الموت.

فهذا حال المترفين المنعمين يحاولون بكل ما يملكون من قوة في كيفية صد الناس عن اتباع الرسل والإيمان بالله والحيلولة بينهم وبين ذلك، فقد كانت المادة الأولى لإنكارهم التي سوغت كفرهم أنه بشر مثلهم، ثم كانت المادة الثانية أنه يعدهم بأنهم سيبعثون[81].

يقول الله تعالى واصفًا تكذيبهم بالآخرة: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ *وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣ – ٣٦]، فقد وصف الله تعالى هؤلاء المترفين بالكفر والتكذيب بلقاء الآخرة، وهذه من أشنع الصفات لهم كما يصورها القرآن، وفي الآيات يخبر الله تعالى أنَّ المترفين يحاولون أن يقنعوا أتباعهم بهذا، ويقولون لهم: أيعدكم نبيكم ((أنكم إذا متم وكنتم ترابًا في قبوركم وعظامًا قد ذهبت لحوم أجسادكم ، وبقيت عظامها، أنكم مخرجون من قبوركم أحياء كما كنتم قبل مماتكم؟ وأعيدت ﴿أَنَّكُمْ﴾ مرتين، والمعنى: أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا مخرجون مرة واحدة.

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ أي بعيد ما توعدون أيها القوم، من أنكم بعد موتكم ومصيركم ترابًا وعظامًا مخرجون أحياء من قبوركم، يقولون: ذلك غير كائن))[82].

فالمترفون وضعوا شبهة التكذيب بالآخرة ما فيها من

الحساب والثواب والعقاب أو بالمعاد وبالبعث والنشور؛ ليحاولوا أن يصدوا الناس عن الهدى وعن الدين الحق، ثم أكدوا الشبهة بقولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧]، ولم يريدوا بقولهم نموت ونحيا الشخص الواحد، بل أرادوا أن البعض يموت والبعض يحيا، وأنه لا إعادة ولا حشر. فلذلك قالوا: وما نحن بمبعوثين.

ويمكن أن يجاب عليهم باستبعاد الحشر بثلاثة أوجه:

الأول: أنه سبحانه لما كان قادرًا على كل الممكنات عالمًا بكل المعلومات، فمن البديهي أن يكون قادرا على الحشر والنشر.

الثاني: وهو أنه لولا الإعادة لكان تسليط القوي على الضعيف في الدنيا ظلمًا، وهو غير لائق بالحكيم[83].

الثالث: أن الذي خلقهم من العدم من قبل أن يكونوا شيئًا، كان من السهل عليه أن يعيدهم مرة أخرى.

((فهؤلاء لا يمكن أن يدركوا حكمة الحياة الكبرى ودقة التدبير في أطوارها للوصول بها إلى غايتها البعيدة. هذه الغاية التي لا تتحقق بكمالها في هذه الأرض. فالخير لا يلقى جزاءه الكامل في الحياة الدنيا، والشر كذلك. إنما يستكملان هذا الجزاء هنالك، حيث يصل المؤمنون الصالحون إلى قمة الحياة المثلى، التي لا خوف فيها ولا نصب، ولا تحول فيها ولا زوال- إلا أن يشاء الله- ويصل المرتكسون المنتكسون إلى درك الحياة السفلية التي تهدر فيها آدميتهم، ويرتدون فيها أحجارًا، أو كالأحجار! مثل هؤلاء لا يدركون هذه المعاني ... لذلك هم يستعجبون ويعجبون من ذلك الذي يعدهم أنهم مخرجون ويستبعدون في جهالة أن ذلك يكون ويجزمون في تبجح بأن ليس هنالك إلا حياة واحدة وموت واحد) [84].

المطلب الرابع: إتباع الآباء والأجداد:

المنهج والطريق الذي يسلكه المترفون على مرِّ الزمان هو اتباع الآباء والأجداد على ما ساروا عليه، وتقليدهم في ذلك، فما بعث الله من رسول ولا نبي ليحذر قومه مغبة كفرهم وضلالهم، ويدعوهم إلى توحيد ربهم، إلا قال مترفو هذه الأُمم الذين أبطرتهم النعمة وأعمتهم الشهوات عن النظرة فيما جاء به المرسلون وأنفوا أن يكونوا تبعًا لغير شهواتهم، قالوا: إنا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا وأسلافنا من دين وطريقة[85]، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ((قالوا: إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ﴾ يعني: وإنا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم نفعل كالذي فعلوا، ونعبد ما كانوا يعبدون، يقول جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم: فإنما سلك مشركو قومك منهاج من قبلهم من إخوانهم من أهل الشرك بالله في إجابتهم إياك بما أجابوك به، وردهم ما ردوا عليك من النصيحة، واحتجاجهم بما احتجوا به لمقامهم على دينهم الباطل))[86]، ولم يكلف هؤلاء المترفون أنفسهم مشقة البحث في طلب الحق والوقوف عنده، بل آثروا الدعة والنعيم في الدنيا، ولم يتفكروا فيما يصيبهم من خزي الآخرة وعذابها.

يقول البيضاوي - رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية: ((تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وسلم، ودلالة على أنَّ التقليد في نحو ذلك ضلال قديم، وأن مقدميهم أيضًا لم يكن لهم سند منظور إليه، وتخصيص المترفين إشعار بأن التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر إلى التقليد))[87].

واتباع الآباء والأجداد وتقليدهم هو شأن وقول الأمم التي أهلكها الله تعالى، وقد ذكر ذلك في موضع كثيرة في القرآن الكريم، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا

أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١]، ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ [الصافات: ٦٩ – ٧٠]، والآيات في هذه كثيرة.

والترف وحب الدنيا هو الداعي للصدِّ عن الرسل وعدم الإيمان بهم، واستبدال ذلك بالاتباع والتقليد الأعمى للآباء والأجداد من غير النظر والتفكير في عواقب الأمور، لذلك ((بيَّن تعالى أن الداعي إلى القول بالتقليد والحامل عليه، إنما هو حب التنعم في طيبات الدنيا وحب الكسل والبطالة وبغض تحمل مشاق النظر والاستدلال، لقوله: ﴿ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾، والمترفون هم الذين أترفتهم النعمة، أي أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي ويبغضون تحمل المشاق في طلب الحق، وإذا عرفت هذا علمت أن رأس جميع الآفات حب الدنيا واللذات الجسمانية، ورأس جميع الخيرات هو حب الله والدار الآخرة))[88].

المبحث الرابع: عواقب الترف:

المطلب الأول: نشر الفسوق والفواحش:

الترف من أعظم الآفات شرًا، والمترفون هم آفة المجتمع في كل أمة، وفي كل جيل، وإذا انتشر هذا البلاء في أي مجتمع ظهرت فيه عواقب هذه الآفة، ومن عواقب هذه الآفة انتشار الفسوق والفواحش في هذا المجتمع، والترف داء معدٍ حين لا يعالج وتمنع أسبابه فإنه يسري في المجتمع سريان النار في الهشيم، ويصبح عندها عادة مألوفة وطريقة متبعة تهبط بالمجتمع إلى درجات الذل والهوان ، ويصبح الفسق والفساد مقياس الرجولة والشهامة في الطبقة المترفة.

والفسق: هو الخروج عن المقر وعن الطريق. والمراد به في اصطلاح القرآن الخروج عما أمر الله به[89].

والفحش والفحشاء والفاحشة: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف:٢٨]، وقوله: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل:٩٠]، ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩]، كناية عن الزنا[90].

والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين أبطرتهم النعمة حتى خرجت بهم عن حد الاعتدال، وأفسدتهم، وقتلت فيهم معاني الإنسانية، فهم ينعمون بالدعة وبالراحة وبالسيادة، حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والمجانة، وفي كل ما من شأنه أن يغذي العواطف الخسيسة، ويوقفا الغرائز البهيمية، فهم يستهترون بالقيم والمقدسات والكرامات، وإذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فسادًا، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها. ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها، فتهلك وتطوى صفحتها[91].

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، فالآية توضح أنَّ عقوبة الترف نشر الفسوق، فكلما وجد الترف والمترفون في أي مجتمع وجد عندهم الفسوق والفواحش

وقد اختلف المفسرون في المراد بقوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ على ثلاثة أقوال:

الأول: أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا فيها بمعصيتهم الله، وخلافهم أمره.

الثاني: كثرنا مترفيها ففسقوا فيها.

الثالث: أمَّرنا مترفيها، أي جعلناهم أمراء ورؤساء[92].

والراجح والله أعلم القول الأول ((أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها فحق عليهم القول؛ لأن الأغلب من معنى ﴿أَمَرْنَا﴾: الأمر الذي هو خلاف النهي دون غيره، وتوجيه معاني كلام الله جل ثناؤه إلى الأشهر الأعرف من معانيه، أولى ما وجد إليه سبيل من غيره))[93].

وكل المعاني السابقة تدل على أن من عقوبة الترف انتشار الفسق والفساد في الأرض، وهذا الانتشار يسبب العقوبة الشديدة من الله تعالى، كما دلت عليه الآية.

((ومعنى قوله: ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾: فخالفوا أمر الله فيها، وخرجوا عن طاعته ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ يقول: فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها، وعيد الله الذي أوعد من كفر به وخالف رسله من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ يقول: فخربناها عند ذلك تخريبًا، وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكًا))[94].

وقد اسند الله تعالى في الآية الفسق بالمترفين دون غيرهم، مع أنه ذكر عموم الهلاك لجميع المترفين وغيرهم، في قوله: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ وذلك لأمرين:

الأول: أن غير المترفين تبع لهم، وإنما خص بالذكر المترفين الذين هم سادتهم وكبراؤهم؛ لأن غيرهم تبع لهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: ٦٧].

الثاني: أن بعض المترفين إن عصى الله وبغى وطغى ولم ينههم الآخرون عن ذلك، فإن الهلاك يعم الجميع، كما قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥][95].

قال الشيخ محمد الصادق عرجون – رحمه الله تعالى: ((الترف عامل من أقوى وأسرع وأخبث عوامل التفتت الاجتماعي وانحلال روابط المجتمعات البشرية؛ لأنَّ الانغماس في مراتع الشهوات وإشباع الغرائز المنهومة، يميت الشعور بالنخوة ويقتل الإحساس بالعزة والغيرة، ويجعل الرذائل من مؤلفات الحياة في هذه المجتمعات المنحدرة إلى هاوية الانهيار، بل يجعل الرذائل ميدانًا للتنافس الفاجر، فلا يهتم أحد برفع رأسه إنكارًا لها بل يجد المجتمع في كبرائه المترفين من ينكر على من ينكر هذه الرذائل، وتصبح الفضائل الخلقية والقيم الروحية غرائب في نظر هذا المجتمع المنحل المتحلل، وعندئذ تحق عليهم كلمة الله وتحل بهذا المجتمع عوامل الفناء))[96].

المطلب الثاني: سبب هلاك الأمم والمجتمعات:

من أعظم العواقب التي يعاقب بها المترفون أو يكون المترفون سبباً من أسبابها، هلاك المجتمعات وعذابها، فإتاحة المجال لظهور المترفين في المجتمع وازدياد، عددهم مؤشر خطير لبدء نزول العذاب أو الهلاك، أو الوصول إلى النهاية التي لا يحمد عقباها.

فوجود المترفين في المجتمع ، وسماحه بوجودهم ، وسكوت المجتمع عليهم ، وقعودهم عن إزالة أسباب الترف ، وتركهم للمترفين يفسدون، كل ذلك من الأسباب التي تؤدي إلى الهلاك والتدمير للمجتمعات والأمم[97].

وقد تحدث القرآن الكريم على أن عاقبة الترف والمترفين الهلاك والتدمير، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، فقوله: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ أي وجب وثبت وتحقق عليها وعيد الله لها الذي قاله رسولهم، وهو العذاب إثر ما ظهر منهم من الفسق والطغيان[98] ، ﴿ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ التدمير الإهلاك، مع طمس الآثار وهدم البناء، والمعنى خربناها وأهلكنا من فيها[99].

ففي الآية دليل وتقرير رباني بأن الله تعالى إنما يهلك الأمة أو البلدة ويدمرها، أو يسلط عليهم أعداءهم، بفسق زعمائها ومترفيها ووجهائها وأثريائها، ولذا قال تعالى: ﴿فَفَسَقُوا﴾ والفاء هنا لبيان أنَّ ما قبلها سبب لما بعدها، أي أن تمكين المترفين مؤد إلى الفسق لَا محالة، والإهلاك يكون لهم جميعًا؛ لصدور الفسق منهم جميعًا، فإن غير المترف يتبعه عادة ،لا سيما إذا كان المترف من علماء السوء، وبأن الله قد أهلك على هذا الوجه كثيرًا من الأمم والمدن لما اتصفوا بذلك[100].

يقول سيد قطب – رحمه الله تعالى: ((فإذا قدَّر الله لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك، فكثر فيها المترفون، فلم تدافعهم ولم تضرب على أيديهم، سلَّط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فعمَّ فيها الفسق، فتحلَّلت وترهَّلت، فحقَّت عليها سنة الله، وأصابها الدمار والهلاك، وهي المسئولة عما يحل بها؛ لأنها لم تضرب على أيدي المترفين، ولم تصلح من نظامها الذي يسمح بوجود المترفين. فوجود المترفين ذاته هو السبب الذي من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا، ولو أخذت عليهم الطريق فلم تسمح لهم بالظهور فيها ما استحقت الهلاك، وما سلط الله عليها من يفسق فيها ويفسد فيقودها إلى الهلاك.

إن إرادة الله قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف، وسننًا لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج فتنفذ إرادة الله وتحق كلمته. والله لا يأمر بالفسق؛ لأن الله لا يأمر بالفحشاء، لكن وجود المترفين في ذاته، دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها، وسارت في طريق الانحلال، وأنَّ قَدَرَ الله سيصيبها جزاءً وفاقًا، وهي التي تعرضت لسنة الله بسماحها للمترفين بالوجود والحياة))[101].

المطلب الثالث: الغفلة:

الغفلة داء خطير يصيب الإنسان فيهلكه، والغفلة من العواقب التي يعاقب بها المترفون فيهلكون بسببها، وتكون عليهم وبالًا وحسرة، وذلك أنَّ ((الترف يغلظ القلوب، ويفقدها الحساسية، ويفسد الفطرة ويغشيها فلا ترى دلائل الهداية، فتستكبر على الهدى وتصر على الباطل، ولا تتفتح للنور.

والمترفون تخدعهم القيم الزائفة والنعيم الزائل، ويغرّهم ما هم فيه من ثراء وقوة، فيحسبونه مانعهم من عذاب الله، ويخالون أنه آية الرضا عنهم، أو أنهم في مكان أعلى من الحساب والجزاء))[102] فينسيهم ما هم فيه من الترف عن الحقيقة التي يجب أن يتفكروا فيها ويعملوا من أجلها، وهي طاعة الله تعالى وعبادته ومعرفة الغاية التي خلقوا من أجلها.

والغفلة لغة: مصدر غَفَل يغفل غفولًا وغفلةً: تركه وسهى عنه، وأغفلتَ الشيء: تركته غَفَلًا وأنت له ذاكرًا، والغُفلُ: من لا يرجى خيره ولا يخشى شره، وما لا علامة فيه[103].

وفي الاصطلاح: سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ، يقال: غفل فهو غافل، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ [ق: ٢٢]، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١][104].

يقول الله تعالى عن المترفين المكذبين بآيات الله: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ * حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣ – ٦٥]، والغمرة هي الغطاء والغفلة والضلالة[105].

قال الطبري – رحمه الله تعالى–: ((يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون، من أن إمدادناهم بما نمدهم به من مال وبنين، بخير نسوقه بذلك إليهم ، والرضا منا عنهم؛ ولكن قلوبهم في غمرة عَمَى عن هذا القرآن. وعني بالغمرة: ما غمر قلوبهم

فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج . وعنى بقوله : ﴿مِنْ هَذَا﴾ من القرآن))[106].

فالمترفون منخرطون في ملذاتهم وشهواتهم ناسون أو متناسون حق الله عليهم، فعاقبهم الله بالغفلة التي يجدونها في قلوبهم، فلم يوقظهم من غفلتهم وسباتهم إلا أن يحل عليهم العذاب فإذاهم يقومون من سباتهم ويفيقون ولكن بعد فوات الأوان، فإذا هم يصرخون ويرفعون صوتهم بالبكاء و النحيب والاستغاثات أن ينقذهم الله مما حلَّ بهم من العذاب، ولكن لا فائدة من هذا كله، يقول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ فيرد الله عليهم لا فائدة من رفع صوتكم واستغاثاتكم فقد كانت معكم الفرصة الكافية والوقت الطويل، ولكن لم تنتبهوا وغفلتم عن ذلك، وعذاب الله لا مفرَّ منه ولا مهرب ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾ هذه هي الغفلة عاقبة الترف التي كانت سبباً لغضب الله ونزول العذاب.

((إنما يغفل الغافلون؛ لأن قلوبهم في غمرة عن الحق، لم يمسسها نوره المحيي، لانشغالها عنه، واندفاعها في التيه حتى تفيق على الهول، لتلقى العذاب الأليم، وتلقى معه التوبيخ والتحقير، المترفون أشد الناس استغراقًا في المتاع والانحراف والذهول عن المصير. وها هم أولاء يفاجئون بالعذاب الذي يأخذهم أخذا، فإذا هم يرفعون أصواتهم بالجؤار، مستغيثين مسترحمين (وذلك في مقابل الترف والغفلة والاستكبار والغرور) ثم ها هم أولاء يتلقون الزجر والتأنيب: ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾[107].

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا﴾ أي بل قلوب الترفين في غفلة عن هدى القرآن والاسترشاد بما جاء به، مما فيه سعادة الناس في دينهم ودنياهم، فلو قرءوه وتدبروه لرأوا أنه كتاب ينطق بالصدق، وأنه يقضى بأن أعمال المرء مهما دقّت فهو محاسب عليها، وإن ربك لا يظلم أحدًا من عباده، ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ﴾ فتقرعهم القارعة وهم غافلون، فتنبههم من الغفلة قارعة تمس المترفين، وخص المترفين بالذكر، مع أن القارعة تعمهم وغيرهم إذ المهلكات تعم، ولا تخص المترفين منهم. خص المترفين؛ لأنهم أصل الإنكار الذين تلهيهم الغفلة عن الحق، أو يلهيهم ما هم فيه من ترف عن أن يدركوا الحق[108].

ويبين الله تعالى حال المترفين هؤلاء في آيات أخرى بأنهم لما كانوا غارقين في ترفهم ومتاعهم، عاقبهم بالغفلة عن القرآن وعن هدى الله، فلم يفيقوا من غفلتهم إلا بعد أن حسوا بنزول العذاب فإذا هم يركضون مسرعين خائفين ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [الأنبياء: ١٢]، فيأتيهم الجواب من الله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ ، هذه هي الغفلة وعاقبتها الوخيمة، وهذا كله بفعل الترف والاستغراق فيه.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره واستنَّ بسنته إلى يوم الدين. أما بعد:

أحمد الله تعالى وأشكره وأثني عليه الخير كله بأن يسر لي الانتهاء من هذا البحث، وأسأله سبحانه أن أكون قد وفقت للسداد فيه وأن يغفر لي زلتي.

وسأذكر هنا أهم النتائج التي توصلت لها من خلال هذا البحث.

أبرز النتائج:

1- يدور معنى الترف في اللغة حول: الاتساع في التنعُّم بنعيم الدنيا وسعة العيش مع البطر والطغيان فيها. أما الترف في الاصطلاح القرآني فهو: مجاوزة حدِّ الاعتدال بالتنعم وسعة العيش، والتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها توسعًا يلهي عن طاعة الله تعالى،

ونسيان إدراك الغاية من وجوده في هذه الدنيا.

2- جميع الآيات الواردة في ذكر الترف والمترفين في القرآن الكريم جاءت إمَّاني موضع الذم له والتحذير منه لما يشتمل عليه الترف من مفاسد،،وإما في بيان سمات أهله، ومعاندتهم للحق وأهله أو جزائهم.

3- ورد في القرآن الكريم ذكر صفات المترفين لتحذير الأمة منهم ومن صفاتهم، ومن صفاتهم: الشرك بالله، والظلم والإجرام، وطول الأمل، والجبن والجزع، التكبر.

4- للمترفين مواقف مضادة من دعوة الرسل، منها: تكذيبهم، واتباع ما ذهب إليه الآباء والأجداد، والاعتراض على بشريتهم، والتكذيب بما أخبروا به من أمور الآخرة، وهذه شبههم يضعونها ليصدوا الناس عن اتباع دعوتهم والإيمان بما جاءوا به من عند الله تعالى.

5- للترف عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع بأكمله، منها: انتشار الفسوق والفواحش، والترف يكون سببًا لهلاك الأمم والمجتمعات، والغفلة.

الهوامش:

(1) ينظر: مقاييس اللغة: لابن فارس (1/ 345)، المحكم: لابن سيده (9/ 476)، لسان العرب: لابن منظور (17/9)، القاموس المحيط: للفيروزآبادي (794)، تاج العروس: للزبيدي (53/23).

(2) ينظر: تهذيب اللغة: للأزهري (14/ 193)، المحيط في اللغة: لابن عباد (426/9)، لسان العرب: لابن منظور (17/9)، القاموس المحيط: للفيروزآبادي (794)، تاج العروس: للزبيدي (53/23).

(3) ينظر: المحكم: لابن سيده (9/ 476)، لسان العرب: لابن منظور (17/9)، تاج العروس: للزبيدي (53/23).

(4) ينظر: تهذيب اللغة: للأزهري (14/ 193)، لسان العرب: لابن منظور (17/9).

(5) ينظر: تهذيب اللغة: للأزهري (14/ 193)، القاموس المحيط: للفيروزآبادي (794)، تاج العروس: للزبيدي (53/23).

(6) لسان العرب: لابن منظور (17/9).

(7) العين: للفراهيدي (114/8).

(8) ينظر: لسان العرب: لابن منظور (17/9)، تاج العروس: للزبيدي (53/23).

(9) المحيط في اللغة: لابن عباد (426/9).

(10) ينظر: الصحاح: للجوهري (4/ 1333)، مختار الصحاح: للرازي (45)، لسان العرب: لابن منظور (17/9)، القاموس المحيط: للفيروزآبادي (794)، تاج العروس: للزبيدي (53/23).

(11) تاج العروس: للزبيدي (53/23).

(12) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: محمد حسن جبل (206/1).

(13) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: محمد حسن جبل (206/1).

(14) ينظر: زاد المسير: لابن الجوزي (16/3)، نظم الدرر: للبقاعي (19/ 313).

(15) ينظر: تفسير الطبري (531/14).

(16) النكت والعيون (4/ 452).

(17) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (3/ 307).

(18) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي (153)، معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (191/1)، المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم: عبدالله جلغوم (365/1).

(19) ينظر: الترف وخطره على الدعوة والدعاة: فيصل البعداني (مجلة البيان العدد 85).

(20) ينظر: المصدر السابق (مجلة البيان العدد 85).

(21) ينظر: مقاييس اللغة: لابن فارس (3/ 153)، لسان العرب: لابن منظور (9/ 148)، المصباح المنير: للفيومي (274/1)، القاموس المحيط: للفيروزآبادي (819).

(22) المفردات: للراغب الأصفهاني (407).

(23) التعريفات (23).

(24) الكليات: للكفوي (113).

(25) ينظر: علاقة الترف بالإسراف والغنى والاستدراج: د. شعبان رمضان مقلد. مقال منشور في موقع علامات اونلاين على الرابط: http://www.alamatonline.net/l3.php?id=24046.

(26) ينظر: الصحاح: للجوهري (592/2)، مقاييس اللغة: لابن فارس (262/1)،لسان العرب: لابن منظور (4/ 69)، القاموس المحيط: للفيروزآبادي (352).

(27) البيطار هو: معالج الدواب. ينظر: القاموس المحيط: للفيروزآبادي (352).

(28) رواه البخاري في صحيحه في كتاب: اللباس، باب: من جر ثوبه من خيلاء، (5451) (2182/5)، ومسلم في صحيحه في كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم جر ثوبه خيلاء، (48-2087) (1653/3)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(29) رواه مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، (147-91) (93/1)، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(30) ينظر: معني القرآن وإعرابه: للزجاج (150/4)، لباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن (2/ 317).

(31) المفردات (129).

(32) ينظر: العين: للفراهيدي (182/8)، الصحاح: للجوهري (2/ 587)، مقاييس اللغة: لابن فارس (1/ 216)، المفردات: للراغب الأصفهاني (114)، لسان العرب: لابن منظور (4/ 50).

(33) تفسير القرطبي (10/ 247).

(34) المفردات: للراغب الأصفهاني (114).

(35) الكليات: للكفوي (113).

(36) ينظر: زاد المسير: لابن الجوزي (4/ 225).

(37) ينظر: تفسير الطبري (22/ 339)، الكشف والبيان: للثعلبي (9/ 213)، التفسير البسيط: للواحدي (21/ 241).

(38) ينظر: البحر المحيط: لأبي حيان (10/ 85)، محاسن التأويل: للقاسمي (9/ 124).

(39) ينظر: السراج المنير: للشربيني (4/ 189).

(40) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي (29/ 412).

(41) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (27/ 307).

(42) تفسير ابن كثير (7/ 538).

(43) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (27/ 306).

(44) مفاتيح الغيب (29/ 411-412).

(45) نظم الدرر (9/ 400).

(46) تفسير المنار (12/ 158).

(47) زهرة التفاسير (7/ 3772).

(48) الكشاف (2/ 437)، وينظر: مفاتيح الغيب: للرازي (18/ 409).

(49) تفسير المنار (12/ 158).

(50) تفسير المراغي (12/ 97).
(51) ينظر: بحر العلوم: للسمرقندي (2/ 421)، المفردات: للراغب (364).
(52) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: للسعدي (520).
(53) ينظر: الكشاف: للزمخشري (106/3).
(54) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب (9/ 854).
(55) رواه مسلم في صحيحه في كتاب: العلم، باب: التعوذ من العجز والكسل وغيره، (50-2706) (2079/4) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(56) ينظر: الصحاح: للجوهري (2/ 607).
(57) ينظر: تفسير الطبري (17/ 77).
(58) ينظر: تفسير يحيى بن سلام (1/ 408)، تفسير الطبري (17/ 78)، تفسير البغوي (3/ 369).
(59) تفسير الطبري (17/ 78).
(60) رواه البخاري في صحيحه في كتاب: صفة الصلاة، باب: يهوي بالتكبير حين يسجد، (771) (277/1)، ومسلم في صحيحه في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة، (295-675) (467/1)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(61) ينظر: فتح القدير: للشوكاني (3/ 580).
(62) ينظر: تفسير الشعراوي (16/ 10079).
(63) نظم الدرر (13/ 162).
(64) ينظر: تفسير المراغي (22/ 88)، التفسير الوسيط: لطنطاوي (11/ 297).
(65) ينظر: تأويلات أهل السنة: للماتريدي (8/ 451).
(66) ينظر: تفسير الطبري (19/ 294)، الكشاف: للزمخشري (3/ 594)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (7/ 135).
(67) تفسير ابن كثير (6/ 521).
(68) في ظلال القرآن (5/ 2910).
(69) ينظر: تفسير السعدي (555).
(70) ينظر: نظرة القرآن الكريم إلى الترف والمترفين: مريم محمود حسن صالح (269).
(71) ينظر: الكشاف: للزمخشري (594/3)، مفاتيح الغيب: للرازي (209/25).
(72) ينظر: التفسير الوسيط: مجمع البحوث (8/ 278).
(73) ينظر: الكشاف: للزمخشري (3/ 594)، المحرر الوجيز: لابن عطية (4/ 422)، مفاتيح الغيب: للرازي (25/ 209)، التفسير الوسيط: لطنطاوي (11/ 297).
(74) تفسير ابن كثير (6/ 520).
(75) ينظر: فتح القدير: للشوكاني (4/ 378)، التفسير الحديث: لدروزة (4/ 286)، التفسير المنير: للزحيلي (22/ 194).
(76) ينظر: تفسير القرطبي (12/ 121)، إرشاد العقل: لأبي السعود (6/ 133)، زهرة التفاسير: لأبي زهرة (10/ 5071)، التفسير الوسيط لطنطاوي (10/ 31).
(77) نظم الدرر (13/ 138).
(78) تفسير السعدي (551).
(79) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 2467).
(80) ينظر: البحر المحيط: لأبي حيان (7/ 557).
(81) ينظر: زهرة التفاسير: لأبي زهرة (10/ 5071).
(82) تفسير الطبري (17/ 41).
(83) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي (23/ 275).
(84) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 2467).
(85) ينظر: التفسير الوسيط: مجمع البحوث (9/ 796).
(86) تفسير الطبري (20/ 573).
(87) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (5/ 89).
(88) مفاتيح الغيب: للرازي (27/ 628).
(89) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (15/ 55).
(90) ينظر: المفردات: للراغب (626).
(91) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 2217)، التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب (11/ 829).
(92) ينظر: تفسير الطبري (14/ 527-532)، الكشف والبيان: للثعلبي (90/6)، معالم التنزيل: للبغوي (124/3)، المحرر الوجيز: لابن عطية (3/ 444)، تفسير القرطبي (233/10).
(93) تفسير الطبري (14/ 532).
(94) تفسير الطبري (14/ 532).
(95) ينظر: أضواء البيان: للشنقيطي (3/ 78).
(96) سنن الله في المجتمع من خلال القرآن (12).
(97) ينظر: العدالة الإجتماعية: سيد قطب (112).
(98) ينظر: معالم التنزيل: للبغوي (125/3)، المحرر الوجيز: لابن عطية (3/ 445)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (5/ 163).
(99) ينظر: معالم التنزيل: للبغوي (125/3)، المحرر الوجيز: لابن عطية (3/ 445)، إرشاد العقل السليم: لأبي السعود (5/ 163).
(100) ينظر: روح المعاني: للآلوسي (8/ 43)، زهرة التفاسير: لأبي زهرة (8/ 4354)، التفسير الحديث: محمد عزة دروزة (3/ 370).
(101) في ظلال القرآن (4/ 2217-2218).
(102) في ظلال القرآن: سيد قطب (5/ 2910).
(103) ينظر: لسان العرب: لابن منظور (497/11)، القاموس المحيط: الفيروزآبادي (1039).
(104) المفردات: للراغب الأصفهاني (609).
(105) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: مكي بن أبي طالب (7/ 4980)، زاد المسير: لابن الجوزي (3/ 266)، تفسير القرطبي (12/ 134)، تفسير ابن كثير (5/ 482).
(106) تفسير الطبري (17/ 74).
(107) في ظلال القرآن: سيد قطب (4/ 2473).

(108) ينظر: تفسير المراغي (18/ 38)، زهرة التفاسير: لأبي زهرة (10/ 5090).

المصادر والمراجع:

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

2- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ)، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : 1415 هـ - 1995 م.

3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418 هـ.

4- بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).

5- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ.

6- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

7- تأويلات أهل السنة، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

8- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ.

9- الترف وخطره على الدعوة والدعاة: المؤلف: فيصل البعداني، مقال منشور في مجلة البيان العدد (85) لشهر رمضان، عام: 1415هـ.

10- التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م.

11- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1430هـ.

12- التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)، المؤلف: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: 1383 هـ.

13- تفسير الشعراوي، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

14- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.

15- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.

16- التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

17- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.

18- تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م.

19- تفسير المنار، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م.

20- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، 1418 هـ.

21- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (1393 هـ = 1973 م) - (1414 هـ = 1993 م).

22- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، عام: 1997م -1998م.

23- تفسير يحيى بن سلام، المؤلف: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة،

التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: 200هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1425 هـ – 2004م.

24- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.

25- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

26- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418 هـ.

27- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

28- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ.

29- زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.

30- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: 1285 هـ.

31- سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، المؤلف: محمد الصادق عرجون، منشور في الأنترنت في ملف وورد.

32- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ – 1987 م.

33- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (المتوفى: 256هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ – 1987م.

34- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

35- العدالة الإجتماعية في الإسلام، المؤلف: سيد قطب، الناشر: دار الشروق، عام: 1415هـ – 1995م.

36- العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

37- فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – 1414 هـ.

38- في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – 1412 هـ.

39- القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ – 2005 م.

40- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ.

41- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ – 2002 م.

42- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

43- لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

44- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ.

45- محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418 هـ.

46- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي

(المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ.

47- المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2000 م.

48- المحيط في اللغة، المؤلف : أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار النشر : عالم الكتب – بيروت / لبنان، الطبعة : الأولى، – 1414هـ –1994 م.

49- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.

50- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

51- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ.

52- معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1988 م.

53- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: المؤلف: الأستاذ الدكتور: محمد حسن حسن جبل، الطبعة: الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة، عام: 2010م.

54- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المؤلف: مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية، الطبعة: الثانية، عام: 1409هـ –1988م.

55- المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم بالرسم العثماني، المؤلف: عبد الله إبراهيم جلغوم، الناشر: مركز تفسير للدراسات القرآنية –الرياض، الطبعة: الأولى، عام: 1436هـ – 2015م.

56- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، المؤلف: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الكتب المصرية– القاهرة، عام: 1364هـ.

57- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ – 1979م.

58- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ.

59- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – 1412 هـ.

60- نظرة القرآن الكريم إلى الترف والمترفين: المؤلف: مريم محمود حسن صالح، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى بكلية الدعوة وأصول الدين، إشراف الدكتور: مسعد عبد المعطي النبراوي، عام: 1406هـ – 1407هـ، 1986م –1987م.

61- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – 1415، هـ – 1995 م.

62- النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

63- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م.

Luxury and Luxurious People in the Holy Quran

Ahmed Salem Mohammed Bataher

Abstract

This study aims at explaining luxury and luxurious people in the Holy Quran which states clearly that luxury has dangerous consequences that spoil individuals and societies. The study is divided into an introduction, four chapters and a conclusion. The introduction includes the significance of the study, the reasons of selecting the topic, the objectives of the study, the research methodology and the research plan.Chapter one discusses the concept of luxury and the luxurious people in the Holy Quran. It clarifies the concept of the luxury in the Quran and Arabic language, the meaning of the luxury in Arabic language, its meanings in the Holy Quran, and the relationship between luxury and other terms.Chapter two shows the features of the luxurious people which have been mentioned in the Holy Quran such as: polytheism, injustice and criminality, the length of hope, fear and cowardice, instability in the scourges, arrogance and boast.Chapter three explains the luxurious people's attitude towards messengers and prophets such as unbelief in messengers and prophets, argument , controversy disagreeing with the prophet Mohammed and opposing him, unbelieving in the hereafter, and following fathers and grandfathers' beliefs. Chapter four deals with the consequences of the luxury that have been mentioned in the Holy Quran which are: spread of immorality and obscenities, the destruction of nations and communities and negligence of worships. The conclusion includes the findings of this research.